لـوط عـليه الصـلاة والسلام وقـومه / ٢

الخـطبة الأولى **١٤١٥/٧/٢١هـ**

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً .

أما بعد: فلا يزال الحديث موصولاً بسابقه عن أحد الرسل الكرام لوط عليه الصلاة والسلام الذي جاء ذكره مع قومه في عدد من سور القرآن الكريم ، وسبق القول بأنه ابن أخي إبراهيم عليه السلام ، أي أن إبراهيم عمّه ،عليهما الصلاة والسلام، وقد آمن بعمّه إبراهيم واهتدى بهديه وهاجر معه من العراق وتبعه في أسفاره ، ثم أرسل الله لوطاً إلى أهل سدوم في الأردن الذين كانوا من أفجر الناس وأكفرهم ، وأخبثهم طوية وسريرة ، وأقبحهم فعلاً وسيرة ، يقطعون السبيل أي الطريق ويأتون في ناديهم المنكر علانية، ولا يتناهون عن منكر فعلوه ، وارتكبوا جريمة من أقبح الجرائم وأشنعها على الإطلاق ، ولم يسبقهم إلى فعلها أحد من العالمين ، ألا وهي إتيان الذكور من دون النساء، حتى صاروا لا يستقبحون قبيحاً ، ولا يستترون من منكر ، فغدت قلوبهم قاسية ، وأخلاقهم فاسدة، وجاهروا باللواط من غير خجل ولا حياء ، فبعث الله إليهم لوطاً عليه السلام ، فدعاهم إلى الله ، وذكَّرهم ونصحهم ، ونهاهم وخوَّفهم بأس الله تعالى ونقمته ، فلم يأبهوا ولم يرتدعوا عن غيهم وإسرافهم وتعديهم ومجاوزتهم الحلال إلى الحرام قال تعالى:﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾** ﴾[الأعراف: ٨٠،

٨١]، وفي سورة العنكبوت: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ﴾ الآية [٢٨، ٢٩]. وفي سورة النمل: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [٥٤، ٥٥] وفي سورة الشعراء: ﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [١٦٥، ١٦٦] .

فلما ألح عليهم وكرّر النهي والتخويف والوعيد بالعذاب الأليم من الله عز وجل إن هم استمروا على ذلك عندها هدَّدوه بالطرد والإبعاد وإخراجه من بين أظهرهم هو ومن آمن معه إذا لم ينته عن نصحهم وإرشادهم ، لأنهم حسب سخافة عقولهم يدعو إلى شيء مخالف لهم حيث يدعوهم إلى الطهارة والتطهر. وذكر الله قولهم في مواضع من كتابه الكريم ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ [الشعراء: ١٦٧]، ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[النمل:٥٦]. وفي سورة الأعراف: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأعراف:٨٢] .

إن هذا منتهى السَّفَه والحماقة وقلَّة العقل والبصيرة والتفكير في عواقب الأمور ، فأصبح القوم يعتبرون اجتناب الرذائل والبعد عن القبائح والفواحش جريمة ، وعلى من يتطهر من ذلك ويبتعد عنها وعن ارتكاب الجرائم عموماً عليه أن يُبْعَد ويُخْرج من الديار ويصبح هو منفياً مطروداً مجرماً ينبغي تهجيره وإخراجه من الأوطان ، فعندما وقعوا وانغمسوا في الفواحش والمحرمات ، وارتكبوا أقبحها وأشنعها تبلَّدت أحاسيسهم وانعكست مفاهيمهم حتى غدا الباطل حقاً والحق باطلاً ، والطهارة

والعفة في نظرهم جريمة، أما الوقوع في القاذورات والمحرمات فهو أمر محمود ومقبول لا غبار عليه في نظرهم، وهذا منطق الطغيان والطاغوت في كل وقت مع أي موقف صدق يبرز فيه الإخلاص والأمانة والدعوة الصادقة بالنفي والتغريب والتضييق بشتى أنواع المضايقات والإهانات.

وما كان من لوط عليه السلام مع إصرار أولئك القوم الخبثاء الأشرار إلا أن توعدهم بعذاب الله ، ودعا الله أن ينصره على أولئك القوم المفسدين، ولكنهم استبعدوا نزول العذاب عليهم في الدنيا ، وقالوا بكل وقاحة واستهتار واستخفاف ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين كما ورد في ذلك في ردهم عليه كما قال الله عنهم في سورة العنكبوت: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٢٩ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٣٠﴾ [العنكبوت:٢٩، ٣٠].

وعندما لم يتتره القوم عن تلك الفاحشة القبيحة مع وجود نسائهم لديهم وانحرافهم عن الحلال إلى الحرام ، و لم يحصنوا أنفسهم بهن و لم يُحصِّنوهُنَّ أيضاً فقد انتشر السِّحَاقُ بينهن واستغنين هن أيضاً عن الرجال كما ورد في بعض الآثار، وأصبح القوم رجالاً ونساءً ممسوخين ، حيث استقبحوا الحسن واستحسنوا القبيح، وهبطوا إلى أسفل الدركات بما أقدموا عليه من انحطاط خلقي مُزْرٍ لا تصل إليه البهائم والحيوانات .

لذلك أرسل الله إليهم ملائكة ليقلبوا عالي تلك القرى سافلها نصرة لنبيه لوط عليه السلام وعقاباً لأولئك القوم المجرمين المفسدين الذين لم ينفع معهم النصح والوعظ والتذكير والتوجيه والإرشاد، وقيل بأن عدد القرى خمس قرى ، وعددهم يزيد عن أربعمائة ألف ، ولا يهمنا معرفة العدد الحقيقي للقرى والأفراد ما لم يثبت ذلك بدليل صحيح ،وإن كان قد ورد العدد عند أهل التفسير بشكل غير قطعي ، وقد ورد إفراد القرية في عدة

مواضع من القرآن الكريم ، ولا تعارض ذلك بين الجمع والإفراد كما هو في الآيات الأخرى ، ومنها قوله تعالى : ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [العنكبوت:٣٤].وقوله عز وجل: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [العنكبوت:٣١]. ﴿ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ ﴾ [الأعراف:٨٢].

وقد مرّ الملائكة في طريقهم على إبراهيم عليه الصلاة والسلام وبشَّروه بغلام حليم ، وأخبروه بأنهم ذاهبون للانتقام من قوم لوط الذين كانوا يعملون الخبائث ، فتخوف إبراهيم عليه الصلاة والسلام على ابن أخيه لوط عليه الصلاة والسلام إذا قُلبت بهم الأرض أن يكون من ضمن الهالكين ، فأخذ يجادلهم ويناقشهم ويخبرهم بأن فيهم لوطاً ، ولكنهم أقنعوه بأن الله سيُنَجِّيه وأهله ومن معه من المؤمنين إلا امرأته قدّر الله أن تكون من الغابرين لخيانتها لزوجها لوط عليه السلام حيث لم تكن معه على الإيمان بالله ، وتلك هي خيانتها في الدين ، وليس في عرضها كما يظنه بعض الناس من وقوعها في الفاحشة ،وهذا خطأ كبير في تأوُّل بعض ألفاظ القرآن وتفسيرها حيث يفسرون ويفهمون الظاهر لهم من بعض الألفاظ، وكانت زوجة نوح كافرة أيضاً وقد ضرب الله المثل بهما في خيانتهما لهما في الدين حيث لم تتبعاهما فيه ، وليس المراد أنهما كانتا على فاحشة، لأن تلوث العرض يؤذي سمعة الأنبياء الأطهار ، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما بغت امرأة نبي قطّ، وهذا هو مذهب الأئمة من السلف ، وإن كانت قد وردت آثار بأنها تخبر قومها إذا جاء ضيوف لديه بإيقادها النار وارتفاع الدخان أو تدعوهم علانية فقد تكون تلك هي خيانتها والله أعلم ، قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمۡ يُغۡنِيَا

﴿عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠﴾ [التحريم:١٠] وينطبق الفهم الخاطئ أيضاً على عدد من آيات القرآن الكريم وألفاظه المفـــردة ، ومنها في هذا الموضع عندما قال لوط عليه السلام لقومـــه عنـــدما أرادوا الاعتداء على ضيوفه بفعل الفاحشة و لم يكن يعلم هو حتى تلك اللحظـــة أنهم ملائكة لأنهم أتوا في صورة شباب مُرْدٍ حِسَان قال للقوم: هؤلاء بناتي هُنَّ أطهر لكم ، أي تزوجوا من نساء القرية وأتوا نـــساءكم بـــالحلال واتركوا الحرام فإن ذلك أكرم وأفضل وأشرف وأطهر مما تريدونـــه ، و لم يكن قصده أن يستبدلوا فاحشة اللواط بفاحشة الزنا و لم يخص بناته هو، بل أرشدهم إلى نسائهم وهو بمنزلة الأب لهم جميعاً، كما قال ذلك بعض السلف ومنهم مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير والسّدِّي ومحمد بن إسحاق والربيع ابن انس وغيرهم رحمهم الله واستدلوا بما ورد في بعض القراءات في القرآن الكـــريم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب:٦]. فبهذا يزول الإشكال ، حتى ولو عرض عليهم بناته زواجـــاً شرعياً لما غطى عدد الرجال علماً بأن لهم زوجات ونساء أخريات. لأن بناته ثنتان فقط كما ورد في بعض الآثار .

قـوم لـوط عـليه الصـلاة والسلام /٢

الخـطـبة الثانـية

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضـــى وكمـــا ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، أحمده سبحانه وأشكره وأؤمن بـــه وأتوكل عليه وأثني عليه الخير كله وأشهد أن لا إلـــه إلا الله وحـــده لا

شريك له وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمداً عبد الله ورسوله، اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد: فعندما حلّ بلوط عليه السلام يوم عصيب وكرب شديد من هذا الموقف مع أولئك القوم الخبثاء وعرض عليهم النساء حلالاً وجادلهم وحاول فيهم بشتى المحاولات قال لهم كما ورد في القرآن الكريم ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخۡزُونِ فِي ضَيۡفِيٓۖ أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ ٧٨ قَالُواْ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ ٧٩ قَالَ لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ٨٠ ﴾[هود:٧٨-٨٠] ٠ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:((**رحمة الله على لوط لقد كان يأوي إلى ركن شديد ــ يعني الله عز وجل ــ فما بعث الله بعده من نبي إلا في ثروة من قومه**)). وهذا دليل على ما تقدمت الإشارة إليه من أنه لم يكن منهم بل أُرسل إليهم وهم غير عشيرته وقومه ، وكان هذا هو قصده بالركن الشديد أي القوم والعشيرة المدافعين عنه في مثل هذه الحالة.

فبينما هو في هذا الموقف العصيب أخبرته الملائكة بأنهم رسل من الله وعليه ألا يخاف ولن يصلوا إليه بسوء ولا إليهم أيضاً، وإنما عليه أن يسري بأهله في الليل ولا يلتفتوا خلفهم وأخبروه بأن امرأته سوف يصيبها ما يصيب القوم، ولهم موعد محدد هم مأمورون بتنفيذ العذاب والعقاب فيه لأولئك القوم الأشرار ألا وهو الصبح ، وطمس الله أعين القوم وخرج لوط مع أهله بعد أن اطمأن على ضيوفه وعرفهم وعلم مهمتهم ، وفي الوقت المحدد الذي أمر الله به قلب عالي تلك القرى سافلها وأرسل عليهم صيحة من السماء وأمطر عليهم حجارة من سجيل منضود. قال مجاهد أخذ جبريل قوم لوط من سرحهم ودورهم وحملهم بمواشيهم وأمتعتهم ورفعهم حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم، ثم كفأها، وكان حملهم على

خوافي جناحه الأيمن ، قال: ولما قلبها كان أول ما سقط منها شرفاتها، وتبعتهم الحجارة القوية الشديدة المنضودة المسومة المعلمة حتى أهلكتهم ، وما هذا العذاب والنقمة من الظالمين ببعيد ممن يفعل فعلتهم ويرتكب المنكرات ويقارف الآثام والمعاصي ويبارز بها رب الأرضين والسماوات.

وقيل بأن البحر الميت الآن هو مكان قرى قوم لوط الذي هو أخفض مكان في الأرض وأدناه عن سطح البحر بنحو أربعمائة متر تقريباً، واكتشفت آثار حول تلك البحيرة وعلى حوافها تدل على تلك القرى ، قال ابن كثير رحمه الله: وجعل الله مكان تلك البلاد بحرة منتنة لا ينتفع بمائها ولا بما حولها من الأراضي المتاخمة لضفافها لرداءتها ودناءتها فصارت عبرة ومثلة وعظة وآية على قدرة الله تعالى وعظمته وعزته في انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسله واتبع هواه وعصى مولاه كما قال تعالى:

﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ﴾

[الذاريات:٣٥-٣٧]ولنستمع ونُصْغِ إلى هذه الآيات الكريمة، قال تعالى:

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ

ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾﴾[هود: ٧٤ــ٨٣].